الموقف الاستشراقي المشابه لموقف أركون من القرآن الكريم.

يكرر أركون مزاعم عدد من المستشرقين في موقفهم من القرآن الكريم، ومنهم المستشرق الفرنسي ((ريجي بلاشير))، والذي ينفي كتابة القرآن الكريم بمكة قبل الهجرة، وأن مرحلة حفظ القرآن في صدور المسلمين قبل كتابته استمرت عشرين سنة، وأن جمع القرآن – على حد زعمه – حدثت فيه أخطاء كثيرة[١].ويزعم لبيرتون أن زيداً رضي الله عنه قال: «لقد مات النبي ولم يكن قد تم جمع القرآن في أي مكان»[٢]. ويطلق ((بلاشير)) على عملية جمع القرآن الكريم تنقيحاً[٣].ولا يخفى ما يحمله هذا اللفظ من معاني توحي بأن القرآن قابل للزيادة والنقصان والتبديل والتنقيح، كأي جهد بشري –كما يزعم –.

وحول التشكيك في كتابة القرآن الكريم وجمعه يحمل المستشرق ((جيرو نيياوم)) كتاب الوحي ما حدث – على حد زعمه- من أخطاء في الجمع والترتيب فيقول: ((فالكتاب على ما هو عليه اليوم بين أيدينا ليس هو الكتاب كما أبلغنا إياه محمد، بل الواقع أن كتاباً بأكمله لم يوح إليه قط؛ بل كانت توحى إليه رؤى قصيرة ووصايا وأمثال وقصص ذات مغزى أو أحاديث في أصول العقيدة، ولعله كان ينوي أن يجمع شتات أجزائه المتعددة))[٤].

ثم يقول: ((وربط جامعو القرآن عدداً من قصص الأنبياء بعضه مع بعض، فتولد عن ذلك في بعض الأحيان شيء من الرتابة المملة، لم يكن النبي مسؤولاً عنه بأي حال))[٥].

ينقل المستشرق ((جرو نيياوم)) قول من سبقه من الغربيين حول كلمات الله تعالى بقوله: ((فإن لغته إيقاعية موزونة وقد مُلِئَتْ موعظة بالترغيب والاستمالة، وشابهت استدلالاته الأساطير))[٦].

وأما بالنسبة لموقف أركون من القصص القرآني ومزاعمه في هذا الباب فتتوافق في جوانب عدة مع عدد من المستشرقين من تشكيك في مصدرها، وعقد مقارنة بينها وبين قصص الأنبياء في كتب اليهود والنصارى، وهذا ما يصرح به بلاشير في كتابه: ((معضلة محمد))[٧].

ادَّعى كثير من المستشرقين أن قصص الأنبياء في القرآن منقولة عن كتب اليهود والنصارى فيقول جولد تسيهر: ((لقد أفاد محمد من تاريخ العهد القديم، وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء؛ ليذكر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السابقة الذين سخروا من رسلهم ووقفوا في طريقهم))[٨].

كما يزعم فنسنك بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مكة: ((كان يبشر بدين مستمد من اليهودية والنصرانية، ومن ثم كان يردد قصص الأنبياء المذكورين في التوراة والإنجيل لينذر قومه بما حدث لمكذِّبي الرسل قبله وليثبت أتباعه القليلين من حوله))[٩].

---

(١) ينظر: ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية، مرجع سابق، ٣٧٥/١.
(٢) جمع القرآن، ص١١٧، ومقدمة القرآن، بلاشير، نقلاً عن: عمر إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ص٤١.
(٣) ينظر: مقدمة القرآن، بلاشير، ص٣٢.
(٤) حضارة الإسلام، ترجمة: عبدالعزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ص١٠٨.
(٥) المرجع نفسه، ص١٠٩.
(٦) المرجع نفسه، ص١٣١.
(٧) بلاشير، معضلة محمد، ص٦٠، نقلاً عن مناهج المستشرقين، ٣١/١.
(٨) العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ص١٥.

ويقول جولد تسيهر: ((كان هناك ما ورد في الكتب السابقة من مختلف القصص التي أجملها محمد، وقدمها في منتهى الإيجاز وأحياناً على وجه متداخل))[١٠].

وأما موقف أركون من منهج علماء السلف في التفسير بالمأثور، وخصوصاً منهج الطبري فإنما يردد مزاعم أساتذته المستشرقين أمثال المستشرق الفرنسي ((كليمان هوار)) والذي خلص في دراسته: ((وهب بن منبه والتراث اليهودي النصراني باليمن))، إلى أن جامع البيان لابن جرير الطبري لا يعدو كونه نسخة عربية لما تضمنه الكتاب (المقدس) – على حد زعمه –[١١].

وأمَّا دعوى أركون إعادة النظر في مناهج التفسير بدعوى الاستفادة من معطيات العلوم الإنسانية بالغرب فقد تابع في ذلك المنهج الاستشراقي المشابه والذي ظهر ابتداءً من منتصف القرن العشرين[١٢].

ولا نشك أن نقد أركون الاستشراقي للإسلام والقرآن فاق كثيراً من المستشرقين، وهذا ما يؤكده محمد بديش بقوله: « أركون ليس مستشرقاً بالمعنى الذي تعنيه هذه الكلمة في الأدبيات الإسلامية المعاصرة، ولكنه مجدد للفكر الاستشراقي وصاحب نهضة فيه، بل يبدو لنا أن أركون هو من أكبر الرواد لما يمكن تسميته ((بالاستشراق العربي)) »[١٣].

ويؤكد الدكتور عبد الرزاق هرماس أنَّ محمد أركون من أكثر الباحثين تأثراً بالفكر الاستشراقي – في معرض سرده لأسماء تلاميذ المستشرقين في فرنسا – فيقول: ((ومن نماذج تلاميذ المستشرقين الذين استُنْبِتوا في الغرب – فرنسا – ويحررون منشوراتهم بالفرنسية: د. محمد أركون، ويهمنا في هذا المطلب ما يتصل من كتاباته بربانية مصدر القرآن، وإن كان هذا الكاتب قد أضحى – عن جدارة – أكثر جرأة من أساتذته على الله وعلى كتابه، وعلى سنة نبيه – صلى الله عليه وآله وسلم – وعلى شريعة الإسلام، وبخصوص كلام أركون عن القرآن الكريم، فالملاحظ أنه في جميع ما كتب عنه ظل وفياً للتراث الاستشراقي، ولا نكاد نجد شيئاً من مطاعن المستشرقين – قديماً وحديثاً – لم يَتَبنه ويدافع عنه، طريقته في ذلك واحدة دائماً: هي التلبيس على تلك المطاعن، بادعاء الاستفادة من ((المناهج المعرفية المعاصرة)) في فهم القرآن، لكن هذه الاستفادة تؤدي دائماً إلى تقرير وتزكية مختلف أراجيف المستشرقين))[١٤].

ويتبين من خلال هذه الإطلالة على موقف طائفة من المستشرقين من القرآن الكريم التوافق بين الموقف الاستشراقي والأركوني من القرآن الكريم، وقد ظهر لنا بجلاء التأثير الاستشراقي في المسيرة الفكرية لأركون من خلال مسيرة حياته العلمية وتصريحه بفضل أساتذته المستشرقين عليه.

---

(٩) فنسنك، العقيدة الإسلامية، ص٣، نقلاً عن: أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، مرجع سابق، ص٩١.
(١٠) المذاهب الإسلامية في التفسير الإسلامي، ترجمة: علي حسن عبدالقادر، مطبعة العلوم، القاهرة، ط١، ١٩٤٤م، ص٧٥.
(١١) ينظر: عبدالرزاق هرماس، مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن، مرجع سابق، ص٧٤.
(١٢) ينظر: عبدالرزاق هرماس، تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين، مجلة البحوث الإسلامية، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، العدد ٦٧، ص١٤٠.
(١٣) المرجع نفسه، ٢٩/١٦، نقلاً عن: السامرائي، مرجع سابق، ص١٢٨.
(١٤) مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن، مرجع سابق، ص١١٩ – ١٢٠.